[51] وأعز أمره، أقرب قرابة وأوجب حقا، ونحن ألزم لطاعة الامير أكرمه ا، من أن نسارع له في معصية أو نبطئ عنه في طاعة، فأجابه الحجاج فقال: يا سلمة، هذا قول حسن، لا أدخله صدري، ولاردنه في نحرك، حتى نبتلي حقيقته إن شاء ا، وكان قوله هذا على المنبر، وقد عسكر بأجناده بالزاوية (1) والزاوية في طرف من ناحية البصرة في طرف بني تميم. ثم إنه خرج من المسجد، وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من أهل العراق، وقد كان انهزم لابن الاشعث غير ما مرة، وقتل له ابن الاشعث خلقا لا تحصى كثرة، قبل هذه المرة، حتى يئس من نفسه وقال: أترون العجوز، ابنة الرجل الصالح كذبتني ؟ يعني أسماء بنت أبي بكر الصديق، لئن صدقت أسماء لا أقتل اليوم. وكان الحجاج لما فرغ من قتال عبد ا بن الزبير، بعث إلى أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق أن تأتيه، فأبت أن تأتيه. فقال: وا لئن لم تأتني لابعثن إليها من يجر بقرون رأسها، ويسحبها حتى تصل إلي، فقيل ذلك لها. فقالت: وا لا أسير إليه حتى يبعث إلي من يجر بقرون رأسي. فأقبل الحجاج حتى وقف عليها، فقال لها: كيف رأيت ما فعل ا تعالى بابنك، عدو ا ؟ الشاق لعصا المسلمين، المفني لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه ؟ فقالت: رأيته اختار قتالك، فاختار ا ما عنده، إذ كان إكرامه خيرا من إكرامك. ولكن يا حجاج بلغني أنك تنتقصني بنطاقي هذين، أو تدري ما نطاقاي ؟ أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول ا صلى ا عليه وسلم يوم غزوة بدر، وأما النطاق الآخر، فأوثقت به خطام بعيره. فقال لي رسول ا صلى ا عليه وسلم: أما إن لك به نطاقين في الجنة، فانتقص علي بعد هذا أو دع، ولكن لا إخالك يا حجاج، أبشر فإني سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول: منافق ثقيف يملا به زاوية من زوايا جهنم، يبيد الخلق، ويقذف الكعبة بأحجارها، ألا لعنة ا عليه ! فأفحم الحجاج ولم يحر جوابا. قال: وسار ابن الاشعث بعدما هزم الحجاج مرارا إلى الكوفة حتى نزل دير الجماجم (2)، فقتل للحجاج فيه خلق كثير، وكتب إلى

---

(1) الزاوية: موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وابن الاشعث قتل فيها خلق كثير من الفريقين (معجم البلدان).

(2) دير الجماجم: موضع بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر السالك إلى البصرة (معجم البلدان). (*)